ليحيا الأدب !

التراث الأدبي في العالم العربي هو جزء ذو أهمية كبيرة من تاريخ الأدب العالمي ويشمل ليس فقط مصنفين مشهورين هما *القرآن و كتاب ألف ليلة وليلة* ، بل مجموعة غنية للغاية من الأعمال الشعرية والنثرية التي تم تأليفها في الفترة ما بين القرن السادس إلى القرن الحادي والعشرين في المنطقة العربية، والتي سرعان ما توسعت من شبه الجزيرة العربية في القرنين السادس والسابع وقد كانت تمتد أراضيها الضخمة من الصين إلى إسبانيا في بداية القرن الثامن. منذ قرون بعيدة يهتم الباحثون المستشرقون بتاريخ الثقافة العربية ، ولكن كما هو الحال في العديد من المجالات الأخرى تتقلب هذه الاهتمامات في عصور مختلفة وغالبا ما ترتبط هذه التقلبات بالعوامل غير الجوهرية. وهكذا في بولندا حيث حلّت القضايا الاجتماعية والسياسية المتعلقة بالعالم العربي محل الأدب العربي. وهذا ظاهر ليس فقط في انخفاض عدد المنشورات العلمية الأدبية بالمقارنة مع المنشورات السياسية والاجتماعية على سبيل المثال (بما في ذلك المنشورات التي يكتبها المستعربون) وإنما في كليات الدراسات العربية أيضا، حيث أنّ معظم الرسالات الجامعية تعنى بالقضايا الاجتماعية والسياسية. إنّ الأدب هو " غير تطبيقي ... " ونحن ننظر إلى هذه الظاهرة على أنها نوع " من علامات العصر " ، ولا نعتقد أنّ أختيار الدراسات الأدبية كمجال للبحث في الحقيقة يتطلب معرفة أفضل باللغة. بالرغم من وجود وجهات نظر كهذه لكنها ليست شائعة. ومن هنا جاءت فكرة تأليف دراسة جماعية متخصصة فقط في أدب المنطقة العربية .

الكتاب المقترح للقارئ معنون *الثابت والمتحول في الأدب العربي*. هذا العنوان يشير إلى الكتاب الشهير للشاعر والمفكر علي سعيد إسبر من سوريا والذي يعيش الآن في فرنسا والمعروف تحت اسم مستعار أدونيس. عرّفت الباحثة كريستينا سكارزينسكا بوخينسكا القراء البولنديين على إبداعه الشعري حيث نشرت العديد من الترجمات لقصائده ودراسات نقدية لأعماله منها لكتابه *الثابت والمتحول* – وهو ليس ديوان شعر، بل دراسة نقدية تضم ثلاثة أجزاء (في حوالي 1300 صفحة!) ويقدّم ويحلل أدونيس فيه جدلية ما هو ثابت وما هو متحول في الثقافة العربية الإسلامية. منذ البداية يحدّد هذان النموذجان تطوّر الثقافة العربية عموما والأدب العربي خصوصا. التقاليد - ما هو دائم وأقوى - تتشابك مع محاولات التحديث، وإعادة صياغة التقاليد - هذا هو عامل التغييرات والذي في الحضارة الإسلامية ليس بالضرورة ذا ميزة إيجابية. يحدث أن يفسَّر التغيير على أنه خروج عن المثل الأعلى الذي يحتاج إلى رعاية ويجب السعي في النتيجة للوصول إليه. وهذا المثل الأعلى إن لم يكن كامنا في الماضي فبالتأكيد يكمن في التقاليد.

بغض النظر عن ذلك فهذان التياران موجودان في الأدب العربي دائما بالتوازي - وليس بالتناوب وهو أمر مهم جدا. من الصعب العثور على مادة أدبية موحدة في الأدب العربي باستثناء أقدم فترة من أدب العرب التي سبقت الإسلام وتسمى الجاهلية. ولكن حتى في عصر ما قبل الإسلام يستطيع الباحث الدقيقي العثور على بعض العناصر من جدلية الثابت والمتحول، على الرغم من أن الأمر ليس جليا من كل الجوانب.

لا يضع مؤلفو هذا الكتاب أمامهم مهمة تقديم صورة طبقية وتعميمية لهذه التحولات والعودات إلى التقاليد (كما فعل أدونيس). هدفنا هو في المقام الأول الإشارة إلى مجموعة متنوعة من مظاهر التفاعل بين التقليد والحداثة في مراحل تطور الأدب العربي المختلفة ، الكلاسيكية والحداثة (على الرغم من أنه ينبغي استخدام المصطلحين الأخيرين في سياق الأدب العربي بحذر). النصوص المقدمة هنا تعرض مجموعة متنوعة من الموضوعات والشخصيات من الأدب العربي من العصور الوسطى إلى يومنا هذا، بما في ذلك الشعر، النثر، الأدب الشعبي ، والرواية المعاصرة.

يركز مؤلفو الكتاب في دراساتهم على المواضيع والشخصيات والظواهر الأدبية التي لأسباب معينة لم تكن حتى الآن موضوع بحث علمي لأسباب متنوعة وليس فقط في بولندا. بالنسبة للأدب العربي القديم (الكلاسيكي) من أهم هذه الأسباب هو وفرة التراث الكتابي. فنحن لا نعتقد أننا سوف نكون قادرين على القول في أي وقت إننا قمنا ببحث كامل في الأدب العربي القديم من كل جوانبه. في هذا الكتاب الذي نضعه بين يدي القارئ تقوم االباحثة دانوتا مادايسكا بالتحليل المقارن الجديد للمروءة العربية في الأدب الشعبي. أما دراسة كاترزينا باخنياك فهي تتعلق بالكتابات الفلسفية. تركز بربارة أوستافين على موضوع الضيف الثقيل في أدب التدريس العربي الذي يسمى أدب المعاملة.

فيما يتعلق بأدب العصر "ما بعد الكلاسيكي"- فإن عدم وجود بحوث حول ذلك سببه هو "الانحطاط" الظالم للأدب العربي. بالنسبة لذلك العصر الذي ما زال ينتظر الاكتشاف والبحث يقدّم ماريك جيكان شخصية الشاعر المغربي سعيد المندسي الذي عاصر ذلك الوقت الذي "لم يكن فيه شيء". بينما تتعلق الدراسة المقارنة لماجداليا ليفيتسكا بالقرن التاسع عشر الذي يحظي بالمعاملة الأفضل بكثير في تاريخ الأدب. فتربط الدراسة بين مواضيع المغرب والمشرق العربي.

بالنسبة للأدب المعاصر سبب وجود العديد من " البقع البيضاء " ، وقضايا ومؤلفون يستحقون الدراسة هو أيضا ضخامة المواد إلى حد كبير. علينا أن نتذكر أنّنا في هذه الحالة نتعامل مع " مادة حية " – ولا نستطيع اللحاق دائما بسرعة ونوعية " المتحول" ، أو سياقات استخدام ما هو "ثابت ". ينبغي أن يؤخذ بالاعتبار أنّ مصطلح " الأدب العربي" يشمل في معناه الأدب من حوالي عشرين دولة تنتمي إلى تقاليد متوحدة ولكن منذ القرن التاسع عشر تطوّرت بطريقة متميزة إلى حد ما - وينبغي التأكيد على أن الفصل ما بين " الأدب المصري" و " الأدب المغربي " يكون ممكنا ولكن ليس تاما . هناك ظواهرمشتركة، هناك ظواهر لا تزال ذات خصوصية لإبداع بلد ما. وترجع تلك الحقيقة إلى متعرجات التنمية الداخلية والمؤثرات الخارجية التي أثرت على الأدب في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين. وإذا نظرنا إلى الأدب المغربي سنجد هناك النثر والشعر باللغة الفرنسية أما في المشرق فلا نجد إلا الأدب باللغة العربية (ربما باستثناء لبنان) ، حتى الكتّاب أو الشعراء في المهجر، فإن اللغة العربية تغلب في إبداعاتهم.

تتعلق مقالات مجموع من الباحثين منهم إيفا ماخوت ميندسكا وماجداليا كوباريك وبربارة ميخالاك بيكولسكي ومارسين ميخالسكي و ميخاو موخ بالوقت المعاصر. تحاول إيفا ماخوت ميندسكا إجراء تصنيف أو تعميم لبعض الظواهر الأدبية .بينما يركز الباحثون الباقون على قضايا أكثر تفصيلا منها الأدب الإسلامي، الشعرفي دولة البحرين وإبداع نوال السعداوي الناشطة المصرية من أجل حقوق المرأة، والأعمال الأدبية لإدوار الخراط، أحد أبرز الكتاب المصريين المعاصرين، الذي يحلل قضايا الهوية العربية والقبطية في بلاده.

الكتاب الذي نقدمه، في رأينا يؤكد أنه على الرغم من الاتجاهات المذكورة أعلاه تظل الدراسات في الأدب العربي جزءا مهما من الحياة الأكاديمية الاستشراقية في بولندا. لقد نشأت وتطورت الدراسات العربية عن طريق البحوث في الشعر الجاهلي والقرآن ولا يسمح لنا أن نترك التعددية البحوثية التي يجب على الاستشراق الحديث أن ينفتح عليها في نفس الوقت يجب ألّا تضع الأدب على مسار جانبي.

بطبيعة الحال، لم يكن من الممكن أن نأخذ في الاعتبار جميع القضايا التي تواجه اليوم كلا من الأدب العربي والبحث الأدبي المستعربي . مع ذلك، يبدو لنا أن المواضيع التي تناولناها هنا تجدد النظر إلى الأدب العربي القديم والمعاصر على حد سواء، وستحظى باستقبال جيد من قبل المتخصصين ومن قبل القراء غير المستشرقين. وهذا هو الهدف المزدوج الذي كان نصب أعيننا.

في قسم "المعلّمون" نقدم ثلاثة شخصيات متميزة من المستعربين المتوفين الذين قدموا مساهمة كبيرة لدراسة الأدب العربي من جوانبه المختلفة. وهم: تاديوش ليفيتسكي وماريا كوفالسكا من جامعة ياغيلونسكي، والأستاذ يوسف بيلافسكي مؤسس قسم الدراسات العربية والإسلامية في جامعة وارسو. لقد قام بتقديم شخصيات هؤلاء العلماء طلابهم . "نحن جميعا منهم" – هذا القول يمكن أن يقوله كل مستعرب بولندي. وأخيرا نقدم عدة قصص قصيرة مترجمة نموذجا من الأدب العربي وهي قصص للكاتب السوري يحيا طاهر من مجموعته التي تظهر فيها بشكل جيد جدلية الثابت والمتحول التي نشير إليها في عنوان كتابنا هذا.

مؤلفو النصوص المتوفرة في هذه الدراسة هم باحثون من مراكز الدراسات العربية الأكثر أهمية في بولندا - وارسو، كراكوف، بوزنان، تورون، وودز. وهذا يعني أن البحوث العلمية في الأدب العربي لا تقتصر على جامعة واحدة فقط، ولكن تتم أينما يعمل المستعربون. ويجب أن نفرح من هذا ونحن نردد قول ياروسلاف بلوسيّك الذي عنون كتابه: "الأدب، يا أحمق! " مقلّدا بسخرية القول المعروف لأحد رؤساء الولايات المتحدة.

مارك م. جيكان وماجدالينا ليفيتسكا